خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٧ رمضان ١٤٣٨ في الإمارات

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا معاشر الصائمين، عباد الله:

إن الله شرع لكم الصيام، وجعل فيه الفضائل العظام، فالصوم لله، وجزاؤه من الله، قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلا الصوم، يقول الله ﷻ: فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع طعامه وشهوته من أجلي».

والصوم جُنّة ووقاية من النار ومن الأخلاق الدنيّة، يقول النبي ﷺ: «والصوم جُنّة».

والصوم -يا عباد الله- سبب عظيم للسعادة والفرح، يقول النبي ﷺ: «للصائم فرحتان، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربّه فرح بصومه».

وتغيُّرُ رائحة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

فالصوم -يا عباد الله- كلّه فضائل، ولذلك كان الصوم لا مِثل له، يقول أبو أمامة رضي الله عنه: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: مُرني بأمرٍ آخذه عنك، فقال ﷺ: «عليك بالصوم، فإنه لا مِثل له».

الله أكبر يا عباد الله! «عليك بالصوم، فإنه لا مثل له»!

وإن ربكم -يا عباد الله- قد أنزل عليكم القرآن، وكلّه فضائل، قالت الجنّ عند سماعها له: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن:١-٢]، وقال ربكم ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء:٩].

وقراءة القرآن -يا عباد الله- فيها أجور كبيرة، فالله ﷻ أمر عباده بقراءة القرآن، ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل:٢٠]، ونبيّنا ﷺ أمر المؤمنين بقراءة القرآن، فقال ﷺ: «اقرأوا القرآن، فإنّه يأتي شفيعًا لأصحابه يوم القيامة».

ولا يخلو قارئ القرآن مخلصًا لله ﷻ من فضل وأجر، فمهما كانت حالتك -يا عبد الله- وأنت تقرأ القرآن فإنّك لن تخلو من الأجر العظيم، اسمع هذه البشارة من النبي ﷺ لقارئ القرآن؛ يقول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السَّفَرة الكِرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقّ له أجران».

الله أكبر يا عبد الله! إن كنت تقرأ القرآن وأنت ماهر في قراءته، فأنت من أصحاب الدرجات العلى والمقامات الرفيعة، وإن كنت تقرأ القرآن وتتتعتع فيه وهو عليك شاقّ -لكنّك تصبر- يجازيك الله بأجرين: بأجر قراءة القرآن وأجر الصبر على قراءة القرآن.

ويقول النبي ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

الله أكبر يا عبد الله! لك بكل حرف تقرأه من القرآن عشر حسنات من ربّنا الرحمن.

وإن شهر رمضان -يا عباد الله- الذي أكرمكم الله بإدراكه شهر القرآن والصيام، يقول الله ﷻ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ [البقرة:١٨٥].

فالقرآن -يا عباد الله- مبارك أنزله الله في شهر مبارك، أنزله الله في ليلة مباركة، يقول ربنا ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٥٥﴾ [الأنعام:١٥٥]، ويقول ربنا ﷻ: ﴿إِنَّآ

أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:٣]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر:١-٣].

وكان جبريل عليه السلام يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان في كل ليلة من ليالي رمضان، وفي آخر حياته ﷺ دارسه جبريل القرآن مرّتين في رمضان.

الله أكبر يا عباد الله! رسولكم ﷺ كان يَعرض القرآن كل ليلة على جبريل في رمضان، ولكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

فيا من جمع الله لك في شهر رمضان الصيام والقرآن، عليك بإحسان صومك، والإكثار من قراءة القرآن، اقرأه ليلا ونهارًا، وقم به الليل يا عبد الله، يقول النبي ﷺ: «الصيام والقرآن يَشْفَعان للعبد، يقول الصيام: أي ربِّ، منعته الطعام والشهوة بالنهار، فشَفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشَفِّعني فيه، فيُشَفَّعان».

الله أكبر يا عبد الله! يوم القيامة -﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]- يشفع لك الصيام، ويشفع لك القرآن، والله يأذن لهما، فيَشْفَعان ويُشَفَّعان.

فيا عبد الله، ألا يَحِقّ لك أن تجتهد في العناية بصومك، وبإحسان صومك، وبالإكثار من قراءة القرآن؟

ويا من جمع الله لك في رمضان الصيام والقرآن، احرص على تحقيق التقوى، وتعلّم من القرآن التقوى، واكتسب من الصيام التقوى، فإنّ ربك قال في القرآن: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢]، وقال تعالى في الصيام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ [البقرة:١٨٣].

فالقرآن -يا عباد الله- كلّه هداية للمتقين، فالمؤمن يقرأ القرآن، ويتدبّر القرآن، ويتعلّم التقوى من القرآن، ويحقّق التقوى بالقرآن، والمسلم -يا عباد الله- إنما يصوم لأنه يتقي الله، ويحقق التقوى لله، ألا ترى -يا عبد الله- أن الصائم يرجع إلى بيته تَعِبًا من عمله جائعًا عطشانَ، ويرى الماء البارد بين يديه،

والطعام اللذيذ أمامه، وهو في غرفته في خلوة، لا يراه أحد من الناس، لكنّه لا يمدّ يده إلى ذلك، مع محبّته له؟ لماذا؟ لأنّه يعلم أن الله يراه، فهو يتقي الله.

والذي يعمل هذا لا بدّ أن يتعلم التقوى يا عباد الله، ألا ترى -يا عبد الله- أن الصائم يترك المباح في النهار، لأن الله أمره بذلك، فيترك طعامه وشرابه وشهوته، لأن الله أمره بذلك؟ فإنّ هذا يعلّمه أن يترك الحرام في كل زمان، يحقّق التقوى بهذا.

فيا من أكرمك الله بأن أدركت رمضان، وجمع لك فيه الصيام والقرآن، كن -يا رعاك الله- من المتقين.

فهنيئًا -عباد الله- لمن صام وصان صيامه عن المفطّرات، والأخلاق الرّذيلة، والمعاصي، فإنّ النبي ﷺ قال: «من لم يدع قول الزور، والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

وهنيئًا -عباد الله- لمن أكثر من قراءة القرآن في كل زمان، وزاد من قراءته في رمضان، فقد روى الطبراني وخرّجه الألباني في الصحيحة أن القرآن يقول لصاحبه يوم القيامة: هل تعرفني؟ أنا الذي كنتُ أُسهِر ليلك، وأُظمِئ هواجرك، وإنّ كلّ تاجر من وراء تجارته -أي أنّ كل تاجر يحرس تجارته- وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر، فيُعطَى المُلكَ بيمينه، والخُلدَ بشماله، ويُوضَع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والداه حُلَّتين لا تقوم لهم الدنيا وما فيها، فيقولان: يا ربّ، أنّى لنا هذا؟! فيقال: بتعليم ولدكما القرآن، وإن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة: اقرأ، وارقَ في الدرجات، ورَتِّل كما كنت ترتّل في الدنيا، فإنّ منزلتك عند آخر آية معك».

ألا فاتقوا الله عباد الله، واشكروا الله أنْ بلّغكم رمضان، وأحسنوا صيامكم، واجتهدوا في الإكثار من قراءة القرآن.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، أما بعد فيا معاشر المؤمنين:

إنّ سلفكم الصالح رضوان الله عليهم كانوا يعتنون بقراءة القرآن عناية شديدة في كل زمان، وتشتدّ عنايتهم بقراءة القرآن في رمضان، فمنهم من كانت له ختمتان في كل يوم، ختمة بالليل، وختمة بالنهار، ومنهم من كانت له ختمة في كل يوم، ومنهم من كان يختم كلّ ثلاث، وهذا أحسن وأولى وأحرى بالفقه، ومنهم من كان يختم كلّ سبع، فكانت لهم عناية عظيمة بقراءة القرآن في رمضان، ألا فانفُضوا عنكم -عباد الله- غبار الكسل، واجتهدوا في قراءة القرآن، وأكرموا أنفسكم بكثرة قراءة القرآن.

واعلموا -عباد الله- أنّ من كان في مكانٍ لا يستطيع أن يقرأ فيه من المصحف، ولا يحفظ كثيرًا: يكفيه أن يردّد ما يحفظ، ولو أن يقرأ الفاتحة فقط، فإنّ له بكل حرف يقرأه حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، فلو أنك -يا عبد الله- في العمل، وأخذت تردّد سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، تردّدها تكرارًا ومرارًا، فإنّك كلّما قرأت حرفًا كانت لك به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، ففضل الله واسع.

واعلموا -عباد الله- أن من قرأ القرآن بتدبّر وترتيل ووقف عند معانيه كان أجره أعظم وأثقل، ومن أكثرَ من قراءة الحروف والكلمات كان أجره أكثر عددًا، ومن جمع بين الحُسنَيَين فذاك خير، فلو أنك -يا عبد الله- جعلت لك وقتًا في رمضان تقرأ القرآن فيه بتدبّر وتَمَهُّل وترتيل، وجعلت لك وقتًا آخر في رمضان تقرأ فيه بإكثار الحروف والكلمات التي تقرأها، لَكُنتَ -يا عبد الله- جامعًا بين الحُسنَيَين، جامعًا بين ثقل الأجر وبين كثرة الأجر.

ألا فاتقوا الله عباد الله، واجتهدوا في قراءة القرآن، وإيّاكم أن يكون حالكم كحالنا مع رمضان الماضي، الواحد منّا سَوَّف وقال: غدًا أبدأ، وبعدَ غدٍ أبدأ، اليوم عندي عمل، أبدأ في الإجازة، وفُوجِئ وقد ودّع رمضان، وودّعه رمضان، ولم يختم القرآن، فندم عند ذلك، وأخذ على نفسه عهدًا، وقال: لَإن عشت إلى رمضان القادم لأفعلنّ وأفعلنّ، ولأختمنّ القرآن مرّات.

وربّكم –يا عباد الله– قد أكرمكم فأدركتم شهر رمضان، ألا فاجتهدوا –عباد الله– في قراءة القرآن، لعلّكم تُرحمون.

ثم اعلموا –رحمني الله وإيّاكم– أنّ الله أمرنا بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال –عز من قائل–: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال ﷺ: «من صلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه عشرًا».

وقال ﷺ: «البخيل من ذُكِرتُ عنده فلم يُصلّ عليّ».

فاللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليمًا كثيرًا، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ إنّا عباد من عبادك، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدّي فريضة عظيمة من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ أمّنّا من عذابك أجمعين.

اللهمّ إنّا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار، اللهمّ إنّا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار، اللهمّ إنّا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار.

اللهمّ يا ربّنا، يا حيّ يا قيّوم، كما جمعتنا في هذا اليوم المبارك، في هذه الصلاة المباركة، في هذا المسجد المبارك، في هذا الشهر المبارك، اجمعنا ووالدينا وذرّيّاتنا وأهلينا وأحبابنا في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا.

اللهمّ يا ربّنا، اجعلنا ممّن أدرك رمضان فغفرت له، اللهمّ يا ربّنا اجعلنا ممّن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا فغفرت له، اللهمّ يا ربّنا اجعلنا ممّن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا فغفرت له، وأَدخِلنا الجنة بذلك يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربّنا، اللهمّ يا ربّنا، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن توفّق رئيس الدولة –الشيخ خليفة بن زايد– إلى ما تحبّ وترضى، اللهمّ قرّبه إلى الخير، وقرّب الأخيار منه يا رب العالمين، اللهمّ أعنه على ما تحبّ وترضى، اللهمّ أعنه على حسن الرعاية، واجعله رحمةً على الرعية، واملأ قلوب الرعية حبًّا له يا رب العالمين، ووفّق نائبه ووليّ عهده لما تحب وترضى، اللهمّ أقم بهم الدين، اللهمّ أقم بهم الدين، اللهمّ أقم بهم الدين، وحقّق بهم الأمن والسعادة، وزد البلاد بهم وحدة، وزد الكلمة لُحمة يا رب العالمين، ووفّق جميع حكّام الإمارات إلى ما تحب وترضى، اللهمّ زد وحدتهم يا رب العالمين قوّة، ولا تُدخل بينهم حاسدًا ولا فاسدًا ولا مُفسدًا يا رب العالمين، اللهمّ اجعلهم خيرًا على البلاد والعباد يا رب العالمين.

اللهمّ اجزِ من بنى هذا المسجد خير الجزاء يا رب العالمين، اللهمّ بارك له في كل ما آتيته من نِعَم، وزده من فضلك يا رب العالمين، اللهمّ بارك له في ذرّيّته الأحياء واجعلهم من المتقين السعداء، وارحم من مات من ذرّيّته رحمةً واسعةً يا رب العالمين، واجمعهم جميعًا في الفردوس الأعلى يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلّم.